الشيخ أحمد العلوي

مقدمة الأجوبة العشرة

الدعوة الى اعتناق الاسلام

ومن هؤلاء من اشتدت رغبتهم الى ان طلبوا منه وضع كتاب يكون كفيلا في دعوة اروبا بتمامها الى اعتناق الملة الحنيفية السمحة، وقد صدروا له عشرة اسئلة ان يجيب عنها بغاية الوضوح، بحيث تكون ادعى في القبول عند كل من وقف عليها، ولنفاسة هذا الكتاب، فانه يجمل بنا ان ننقل مقدماته في هذا الفصل، تخليدا لذكر صاحبه رضوان الله عليه.

قال بعد البسملة ما نصه:

الحمد لله الهادي من استهداه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآله وصحبه ومن والاه.

اما بعد ايها الصديق، قد بلغتني رسالتكم تتضمن من الاسئلة عشرا، بواسطة محبكم، وانه اعرب لي عما قصدتموه، واشتملت عليه طويتكم من اضمار الخير لعموم البشر، كما اخبرني ايضا انكم تريدون ارتباط الجواب بنصوص قرآنية او احاديث نبوية، او قواعد فلسفية عصرية، ليكون

ادعى للقبول ، وامكن تاثيرا في النفوس والعقول ، ولما كانت الاسئلة بالقلم الاعجمي ، ألزمته بإيضاح معناها ، فأتاني بما يلائم ما اشتملت عليه تقريبا فوجدتها كافلة بالصلاح في بابها ، تنبيء عن مكارم اخلاقكم من اضمار الخير لابناء البشر «قرآن» **(ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا)** وبالجملة فانها اسئلة اجدر بأن يتشوف لجوابها العالم اجمع ، فضلا عن الامة الفرنسية التي انت من افرادها جنسية ، فجزاكم الله خيرا . فقد خدمتم بذلك ابناء جنسكم ، وسعيتم فيما لا جزاء يعادل فعلكم ، هذا الا جنة عرضها السموات والارض . وبعد هذا ارجو الله ان يلهمنا الى ما فيه السداد ، ويسلك بنا وبكم سبيل الرشاد ، وقبل الشروع اقدم مقدمة تشتمل على فصول تمهيدا للعقول .

الفصل الاول من المقدمة

فأقول: من المعلوم ان المجتمع البشري مفتقر بالطبع الى من يسوسه ظاهرا وباطنا ، وبهذه المناسبة رتب سبحانه له شرائع سماوية تسوسه وتزجره من حيث الباطن ، كما جعل له قوانين سلطانية تسوسه وتزجره من حيث الظاهر ، فكان الدين والسلطان بهذه المثابة كالشريكين في تقويم العمل ، بحيث لا غناء لأحدهما عن الآخر ، ومن يقل باستغناء السلطان عن الدين فهو غير امين ، وقد يخشى خراب ملكه ولو بعد حين ، لانه يتوقى مراعاة القوانين في الجهر ، اما السر فلا ، لان القوانين الصارمة المترتبة على منتهك الحرمات ، لا تجري على صاحبها إلا مع البيّنة ، فهي حاجزة له في الملا ، ومن ذا الذي يحجزه اذا اختلى بكمال معصوم ، او فرج مختوم ، والحالة انه يامن من الاطلاع عليه ، لا والله لا يحجزه شيء الا اذا كان يخشى الله رب

العالمين ، وعليه فالمستغني بترتيب القوانين السلطانية عن الزواجر الالهية فهو متهوم العقيدة ، لانه قائل بجواز انتهاك الحرمات مهما امكن الخفاء ، فهو انسان في الملا ، وحشي في الخلا ، فليتامل . وهذا بقطع النظر عما توعدتنا به الشرائع السماوية ، او وعدتنا ، والا لما التجأنا لتحكيم العقل في مثل ذلك تأمل الفصل بعده .

الفصل الثاني من المقدمة

ثم اقول مهما اعترفنا بلزوم سلطة باطنية دينية تؤازره السلطة الظاهرية في المحافظة على حرية الانسان في بدنه وماله وعرضه ، بحيث يكون مأمونا سرا وعلانية ، فلا نعتبر ذلك اللزوم مجرد سياسة اتّسمت بالشرائع الالهية ، لأن القائل بذلك يعتبرها لم توضع من اجله حيث يظن انه مطلع على سر الوضع ، وبهذا النظر لا يصح التنصل مما سبق التحذير منه في الفصل الاول ، من ان القائل بذلك يجوز انتهاك الحرمات مهما امكن الخفاء ، لان ذلك يلزمه بمجرد ادعائه الاطلاع على سبب الوضع ، وعليه فلا يحصل له تمام التبري من ذلك الا اذا تلقى الزواجر الاهية في الباطن ، بما تلقى به الزواجر السلطانية في الظاهر ، وبذلك يدخل في دائرة من آمن بالله واليوم الآخر ، وما ذكرناه من لزوم الايمان ليس بمستبعد لدى الفكر العام ، فيستغرب ثبوته ، تأمل فيما بعد .

الفصل الثالث من المقدمة

ثم اقول : ومن المحتمل ايها الصديق ان يقال ان ما اجتمعت عليه القدماء من لزوم مراعاة الشرائع طبق ما جاءت به الرسل ، وهو من ضروريات الظروف الغابرة ، اما الآن فقد ترقت العقول ، وبلغت الافكار الى غاية كافلة في تنظيم مهماتها . فاقول : وعلى تقدير صحة مقالة هذا الفريق ، ثم فرق تتعين مراعاته بين الشرائع الالهية ، والقوانين المخترعة ، يشعر به من تأمله مع انصاف ، اذ البصير لا ينكر كون القوانين المخترعة لا تخلو من بعض الاغراض الشخصية من مؤسسها حال التاسيس ، وان كانت جمهورية ، فضلا عن ان تكون استبدادية ، حتى أن القانون يتسمى باسم مؤسسه . وفي ظني ان المؤسس لذلك لا يخلص تماما من مراعاة بعض حظوظه حال التاسيس ، إما لاستجلاب نفع خصوصي ، وإما لدفع ضر ، وإما لعكس مقاصد المعاصر ، وإما ، وإما . ولهذا كلما دارت الدوائر قد ينتقل القانون الى عكسه ، او يقضى عليه بالتعطيل ، وقد يكون ذلك بقصد التشفي بصاحبه ، وبهذه المناسبة لا تخلص الامة ابدا من تقلبات الاغراض الشخصية ، وبالاخص الضعفاء .

أما الشرائع الالهية ، فهي حاكمة على كل من الرئيس والمرؤوس ، ثابتة الحقائق لا تحتمل الانعكاس ، فالمستظل بظلها في أمن على كل حال من غيره من تقلبات الاغراض .

الفصل الرابع من المقدمة

وقالت طائفة : الوقوف مع مقتضيات الشرائع من لوازم التقهقر . فأقول انها كلمة جديرة بالاهمال ، ان اريد بها عموم الشرائع ناسخا ومنسوخا ، لان في الشرائع ما جاء باسباب الرقي لأهله ودواعي العمران . والتاريخ أعدل شاهد فيمن كانت الشريعة هي السبب الوحيد في ترقيتهم ، وفيمن كانت لهم بعكسه ، وما ذلك الا لانتهاء زمن العمل بها . ولهذا اضطر بعض الكتابيين من اهل اوروبا الى استبدال عدة احكام بغيرها ، ولهم العذر في ذلك، مع الملامة حيث لم يلتفتوا الى غير ما بايديهم من الكتب السماوية ، لينظروا ما عسى ان يوافق الغرض الموقوف عليه ، ويكون مستندهم في ذلك الى كتاب سماوي اولى من صفحهم عنه ، وهو شان المنصف المحافظ على الاوامر الالهية . ومن ذلك ما صح عن النبي الامي عليه السلام انه كان يستند الى احكام اهل الكتاب فيما لم يوح له به ، فما منع الانجيليين ان يأخذوا ما وافق مدنيتهم العصرية من القرآن ؟ والحالة انه كافل بما يحتاجون اليه ، فهل هو مجرد تغفل ؟ ولا اقول بما سوى ذلك رجما بالغيب .

الفصل الخامس من المقدمة

ومن سوء الحظ ايها الصديق ، ان تهمل اروبا العظمى كتابا سماويا يلائم مدنيتها الحاضرة ، ويربط بها ما يقرب من ربع سكان البسيطة ، مع ان أغلب افرادها مفرغون من العمل بغيره ، للاقبال على الحق مهما عثروا عليه ، وما منعهم عنه الا عدم وجود المبلغين للحقيقة على ما هي عليه ، والا

لكانوا اسرع المدعوين اقبالا، وكيف لا، والحرية ترغبهم، والانجيل يوافقهم ان لم نقل يكلفهم. اما قولنا الحرية ترغبهم، لانها لا تطلب الا ما يقوي دعائمها من الكتب السماوية لتستند عليه، ولا كتاب اجدر بها من «القرآن» حتى انه ليس في طوقها أن تخرج عنه كيفما توسعت، لانه منها اوسع، «قرآن» **(ما فرطنا في الكتاب من شيء)** واما قولنا الانجيل يوافقهم سيأتي فيما بعد.

الفصل السادس من المقدمة

واي لوم يلحق المسيحيين ايها الصديق، لو التفتوا ادنى التفات للبعثة المحمدية، مع التأمل في مجيئها بعد المسيح، لينظروا ما عسى ان يكون هو ذلك المبشر به في الانجيل، وهل لا يجعلون للبشائر المسيحية ادنى مكانة، فيرتقبون بها المخبر عنه، لئلا يفوتهم التصديق به كما يفوتهم العمل بالانجيل في هذا الموضوع، «قرآن» **(هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر)** جاء محمد عقب بعثة المسيح بنحو خمسمائة سنة فقال: انا دعوة ابيكم ابراهيم، وبشارة عيسى، فآمنت به طائفة من النصارى، وكفرت به طائفة، وسبب كفرانها به انها توهمته، انه ليس هو ذلك المبشر به، وان قلنا عاقتها من التصديق به، ما توهمته فقد اتضح الآن صدقه، كما اتضح صدق المسيح عليهما السلام بتصريحه عن المبعوث بعده. واما صدق محمد في كونه بشارة عيسى، يتضح لنا من خلاصة اقواله التي تتضمن انه هو ذلك المبعوث في الانجيل، «وليس بعده نبي حتى ينتظر».

فكان هذا الخبر مما يحتمل الصدق والكذب لذى المعاصر، اما الآن فهو الى

الصدق اقرب ، وبالواقع انسب ، يترجح جناب الايمان به على عكسه ، بما مرت عليه من السنين التي بلغ عددها (14) قرنا، وهاته الغاية كافلة في تحقيق صدقه، في كونه هو ذلك المبشر به، والا فاين بشارة عيسى، بعد ما مضت تسعة عشر قرنا من الميلاد؟ فهل هي خاوية على عروشها؟ فحاشا لله! وبالجملة، فمن لم يقل بنبوءة محمد من المسيحيين، فهو يقول بعدم صحة بشارة عيسى . فليتدبر.

الفصل السابع من المقدمة

وعلى ما قدمناه من لزوم اعترافنا بسلطة باطنية دينية تؤازر السلطة الظاهرية في حفظ ما للانسان ، وما عليه حيثما كان خاليا او جاليا ، لزمنا على ذلك احترام عموم الشرائع الالهية ، وهذا بالنظر للمجتمع الانساني . أما باعتبار المكلف في خاصة نفسه ، فلا بد له من الفحص على شريعة سماوية يعتنقها حالة كونه على بصيرة مما اشتملت عليه ، بحيث يكون على بينة من امره . وهذا لا يتسنى لنا الا دينا ودنيا ، وكل انسان لزمه ان يسعى في خلاص نفسه « قرآن » **(يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم)** قاطع النظر عن تعصبات الآباء والاجداد ومعتقداتهم ، ومن الغريب ان تهمل اروبا الفحص في مثل هذا الموضوع ، مع ما جبلت عليه من طلب الرقي في كل شيء شيء ، فهل منعها تقليد الآباء والاجداد ، ام غفلة منها عن يوم الميعاد ؟ فان كان الاول فهو مناقض للقواعد العصرية ، وان كان الثاني فهو قصور على كل حال في القوة الفكرية ، لأن نفع الانسان يعتبر باليوم القابل ، لا بما فات ، وكل آت آت .

الفصل الثامن من المقدمة

وما تكلفناه من لزوم مراعاة الزواجر الدينية من المنتظم البشري ، هو بقطع النظر عن واجب الايمان باليوم الآخر ، ولوازم الحياة الابدية ، اما مع ذلك فلا نتكلف ، فيكون الايمان بذلك كافلا بالغرض المومي اليه دنيا واخرى . نعم ، قد يتنازع النفي والاثبات على ذلك المركز ، لما هو عليه من المكانة والعز « قرآن » **(ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله)** وهنا غرض اهم مما سبق مهما اعتقدنا ابدية الانسان ، بمعنى كونه غير ترابي ، او شككنا في ذلك ، لزمنا اعتبار ما بعد الانتقال ، ليتوقى ما ربما يكون الموعود به حقا ، ولو يكون التوقي على سبيل الاحتمال ، فهو على كل حال تزحزح وخروج بطرف من دائرة الانهماك ، ومن تمكن من درجة اليقين ، يكون انسانا بالطبع لا بالتكلف ، ومن لا فلا .

الفصل التاسع من المقدمة

قد لا يعتد الانسان بما بعد الموت ، وذلك لأسباب ، منها : عدم إلتفاته لما اشتملت عليه عموم الشرائع ، اما لو بسطها على صفحات الاعتبار من لدن آدم الى بعثة محمد عليهما السلام ، لكانت فعلته هاته كافلة في ترجيح الايمان على مقابله ، وكيف لا ، والحالة انها لم تختلف في لزوم الميعاد ، فهي تخبر بكل لهجة ، وتحذر بكل قريحة ، وهل يرى ان اربابها تواطأت على الكذب مع كثرتهم التي بلغت حد الغاية ، وهذا بقطع النظر عن شرف مكانتهم ، وشهادة الخلق لهم في كل عصر ببراءتهم من كل النقائص . وبعبارة اخرى ،

إن هذا الفريق الذي لا يعتد بالحياة الابدية، فهو كذلك لا يعتد به، لأنه نزر قليل بالنظر للسواد الاعظم من سكان البسيطة، ومع قلة ذلك الفريق، لم يسلم اي فرد من افراده من ان يتخيل ما ربما يكون المخبر به على لسان الرسل حقا، فهو غير سليم العقيدة في تحقيق النفي، ولو بلغ ما بلغ في استقلال الفكر، وحرية الضمير، وكل ذي ادراك يحس ذلك من نفسه، وقد يخبر المنصف به، وعلى فرض ثبوت ما تخيله الجاحد من وقوع المخبر به على لسان الرسل، كيف يكون حاله اذا **(التفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق)**، فلا محالة تتحقق خسارته. اما خسارة المثبت للميعاد، لا تتصور بحال على كلتا العقيدتين. فلتتدبر.

الفصل العاشر من المقدمة

والاصل الاصيل في جميع ما قدمناه من لزوم الايمان بيوم الميعاد، هو مفرع عن اثبات المدبر لهذا العالم، وقد اجتمعت الامم على اختلاف معتقداتهم قديما وحديثا، من عموم سكان البسيطة على اثباته، والحمد لله، وان مع تباين المشارب. فكل يعتقد اثبات الحق، انما المختلف فيه تعيين الحقيقة، اي ما هو ذلك المدبر من جهة الماهية والوصف؟ فذهبت كل فرقة لما سمح به اجتهادها، او اخبرها به نبيها، فافترقت الملل، وتعددت النحل، وعلى كل حال، فالنقطة الجامعة بين اطراف المتناقضين هو الاثبات، ولم يسقط من هذا المركز المهم الا شرذمة قالت بنفيه، واسندت الامر لغيره، ويا ليتها قالت هو ذلك المسند اليه، فتحصل على طرف من الاثبات، ولكنها اغفلت. وعليه فانها تعتبر خارقة لما اجمع عليه العالم باسره. فلا جرم انها تتحمل ما ارتكبته دنيا واخرى، لانه كفر بصفاته الخاصة، وكل ما دونه

من المنفيات مفرع عليه « قرآن » (**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم**).

الفصل الحادي عشر من المقدمة

ومما يسوء الموحدين، إفراط من أفرط في المقررات الدينية، الى ان وصل به غلوه الى نفي المدبر لهذا العالم، وهو على صفة اعجاب، ظنا منه انه عثر على علم من نتائج الرقي في المعلومات، ولم يشعر ان إنكاره للالوهية ضرب من ضروب الوحشية، فحقه ان يعد قرحة في جانب الانسانية، أو نقول بقية حيوانية. نعم، قد تلبس بهاته العقيدة الاقدمون حسبما اخبرنا به « قرآن » (**وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا الا الدهر**) وعليه فلا تصح هاته المقالة ان تعد من حسنات هذا العصر، عصر الرقي والاستبصار، حيث صح انها مما تمخضت به الدهور الغابرة، والامم القاصرة، ولا مستبعد فيما ارتكبوه في تلك الاعصار على ما اخبرنا به « القرآن » : (**ان هم الا كالانعام بل هم اضل**) انما المستبعد صدور نظيره من ارباب الاهمية الذين ربما يرجى بصلاحهم صلاح ابناء الانسان قاطبة، « القرآن » (**وما ذلك على الله بعزيز**).

الفصل الثاني عشر من المقدمة

ولعلك تقول : إن ما تفوه به الاقدمون من نفي الالوهية، ربما كان السبب فيه القصور في العلم، فما السبب الان في التفوه بمثله مع السعة فيه؟ فاقول : هذا السؤال حقه ان ينتظر جوابه، واني امعنت النظر، فوجدت

الداعي الواحيد فيه هو سابق الاعتقاد، في الاله، اذا كان على غير الوجه الاكمل، لأن الفيلسوف قبل اشتغاله بالفن الذي استثمر منه نفي المدبر، قد يكون موحدا، ولكنه لا يتخيل الاله الا جرما مستقره العلو، حسبما انطبقت عليه عقائد اغلب الامم غير الاسلام، وحتى اذا وصل الى ما وصل اليه، واستحكم به التحقيق في فن الهيئة بواسطة الاستكشافات على العلويات وغيرها، وبالاخص مع استعانته بنحو المكبرات، فلا يجد الا فراغا متسع الارجاء، لا غاية له، ولا فجحا تخالله اجرام بعضها يسمى بالكواكب، وبعضها بالشموس، والآخر بالاقمار، تفوق حد الحصر والعدد، تتوقف حركة بعضها على بعض على ما تقتضيه الجاذبية، والنواميس الكونية، فيتضح لديه يقينا، ان الاشياء مرتبطة ببعضها، والمسببات موقوفة على اسبابها، والطبيعة فعالة لا غير، فلا يستطيع ان يثبت موجودا، او زائداً على ما وصل اليه علمه، فكيف يتسنى له ان يثبت إلها حسبما تخيله في ذهنه، سابقا من كونه ذا جرم مقره في السماء، جالسا على كرسي، او نحوه؟ فهيهات ان يجد إلها بهاته الصفة! وهذا هو الباعث له في انكار الالوهية مع العلم، وقد اخبرنا بمثل هذا «قرآن» (**افرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم**) ويا ليته كان له إلمام بشيء من عقيدة الاسلام، وليتامل فيما بعد.

الفصل الثالث عشر من المقدمة

ثم اقول: ان الانسان قد يمدح باستقلال الفكر، لكن لا ينبغي له ان يأمن من غوائله، لان حرية الضمير تفضي الى الاستبداد به، وهو نفس التمذهب القائل: الحر بمذمته، وعليه فيكون المتنقل منه هو المرجوع اليه، ربما

يكون الرجوع بصفة اشنع من ذي قبل ، لان المنتقل كان مقتديا ، صار مقتدى به ، فتحمل بذلك مسؤولية الاتباع ، ودخل تحت الاشارة ، مع من تقدمه من المذاهب مدحا وذما .

وبالجملة ان الدهرية نفسها ، ما هي الا مبالغة في استقلال الضمير فرارا من التمذهب باي مذهب كان ، فاستنتجت بذلك مذهبا علاوة على ما سبق ، احدث في المجتمع الانساني تشويشا وارتباكا ، لان الكل كان قبل حدوثه متفقا على اثبات المدبر لهذا العالم ، وانما الخلاف في تعيينه ما ذلك المدبر ؟ وهو منشا اختلاف الملل ، وتعدد النحل ، غير ان الكل يجد في نفسه ما ربما يمنعه من انتهاك حرمات الغير في الخلاء ، وإني مع الاعتراف بانه اعز شيء للانسانية الافتخار به حرية الضمير ، لكن مع التحسس بسلطة خارجية يتعذر إدراكها ، تسمى بالالوهية ، ومن لم توجد فيه هاته الحاسة فهو انسان في الصورة لا غير .

الفصل الرابع عشر من المقدمة

كل من تمذهب بمذهب الدهرية ، او نقول الفرعونية ، هو على شك من امره ، ولو بلغ ما بلغ في تصحيح معلوماته ، ما يتبع من امره الا الظن ، **وان الظن لا يغني من الحق شيئا** ، ولهذا تجد اكثر هاته الطائفة يجنح الى الاقرار في معلوماته ومخابرته ، وبالاخص عند النوائب ، وقد اشهدتنا الحرب الكبرى دروسا نافعة ، فلا تجدن خطبة او مقالة الا ويخاللها من التوحيد بقدر انصاف صاحبها ، بعد ان كان التفوه عنده بذلك يعد من المعرات ، ولا حامل له على الإقرار الا ضغط الالوهية على المتجبر ، « قرآن » : **(فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم**

الى البر اذا هم يشركون) وهكذا اكثرهم اذا ادركته المنية، وانقطعت به الاسباب، يصبح ينادي قائلا : يا مولاه، يا مولاه.

وبالجملة، ان الانسان هو عبد بالاصالة حب ام كره، « قرآن » **(ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا)**.

الفصل الخامس عشر من المقدمة

ولتعلم سيدي، ان انكار الالوهية ضرب من ضروب الوحشية، فبعد ما فر العصريون من التوحش فرار الذئب من الاسد، لم يشعر البعض الا وهو في غايته، واي وحشية اوحش ممن نكر وجود المدبر لشؤونه، ويستقل بالوجود معجبا برأيه، وهو بالامس لم يكن شيئا مذكورا. وفي ظني ان لا معين له على ما ارتكبه الا البسطة في المال والجسم، « قرآن » **(كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى)** ولا شك انها عقيدة الفراعنة لا من سواهم من الضعفاء، وبذلك جاء الخبر « قرآن » **(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض)** ومن البغي، القيام على دولة ثابتة الدعائم في العدل، وتوطيد الامن بين افرادها. اما القيام على مبدع الكائنات، والدعاء الاستقلال في خاصة ملكه، هو مما يعد البغي من المكارم في مقابلته، وما بين الفريقين بون شاسع، ومن العجب ان يحارب الموجود من اوجده « قرآن » **(اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين)**.

وبالجملة إن الحيوان المفترس محتمل تقييده، وهذا النوع لا يتقيد بحال، لانه لم ير سلطة عليه يراقبها، وحتى اذا قيد في الملأ فهو يفعل في الخفاء ما يشاء، « قرآن » **(يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم)**.

الفصل السادس عشر من المقدمة

الكفر هو عبارة عن انكار الحق، ويختلف متعلقاته، وارذاله انكار الالوهية، لأن دلائل وجودها تقرب من الضروريات، باعتبار ما اجمعت عليه الامم، ودلت عليه الآيات، وعليه فجاحد وجود الحق يطلق عليه كافر بكل معنى، حسبما عرفنا به تعالى «قرآن» **(ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم)** وقولنا انه كافر بكل معنى، لان نفي الحق يستلزم نفي ما تقرر في عموم الشرائع، فهو آخر دركة يتنزل إليها من طبع الله على قلبه، حتى اذا ثبتت دعائمه فيها، يخلع ربقه الحياء من عنقه، وينزع جلباب المروءة عن وجهه، فيستخف بجميع الملل، ويقوم خطيبا يدعو الناس لمذهبه، فيزيده الله بسطة في العلم والجسم، استدراجا منه سبحانه وتعالى له «قرآن»: **(سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)**. حتى اذا استانس بحاله، وعجب برأيه، أخذه الله اخذ عزيز مقتدر «قرآن» **(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء، حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون)**.

الفصل السابع عشر من المقدمة

وقد تقدم لك ايها الصديق، ان السبب في انكار بعض المعاصرين من الفلاسفة لوجود المدبر، هو سوء الاعتقاد السابق، حيث كان يسبق في خلده من ان اله العالم هو بالكثائف اشبه منها باللطائف، فلا يتصوره الا جرما، ولو اعطاه من جميل الاوصاف ما استطاع، حتى اذا وصل الى ما

وصل اليه الاروبويون من فن الهيئة بواسطة الاكتشافات الحديثة، فلا يجد الا فراغا متسع الارجاء، ذا اجرام تتوقد ذاتية واكتسابا، تتوقف حركات بعضها على بعض على ما تقتضيه الجاذبية، والنواميس الطبيعية، فيتضح لديه ان الاشياء مرتبطة ببعضها، لكن لا يخلو معتقده تماما من بقية تومى اليه، بامكان سلطة هناك تدق عن الادراك، لكنه يتعجل القول بمجرد الطبيعة، وان مع بقاء ذلك الزائد المتوهم عنده «قرآن» (**وخلق الانسان عجولا**) وكان حقه ان لا يتعجل التصريح بالنفي، ومع تحسسه بذلك الزائد على الطبيعة، عساه ان ياتيه البيان، فيكون حجة على غيره، واما ما يهتدى به في الاثبات، اما النفي فهو شيء قد يتصور من ضعف الادراك، خلاف مقابله فليتأمل !

الفصل الثامن عشر من المقدمة

قد يضل الانسان في محل الاهتداء، ويدبر على الحق في طريق الاقبال عليه، واني قد سافرت مرة الى «تونس» وعند ما قربت الى سوق العطارين، عبقت رائحت المسك، ونحوه طافحة، فاخذت نتبع الرائحة بالتوسم، عسى ان نهتدى الى المحل بدون السؤال عليه، ولما وصلت للمحل نفسه، انقطعت عني الرائحة تماماً، فظننت اني ادبرت عن المقصود، فاخذت نلتفت يمينا وشمالا، فناداني رجل من دكان بجانبي : ايش تريد يا شيخ ؟ فقلت له : اريد المسك. فقال لي : هذا محله. فقلت له : اعطنيه. فناولني قطعة سوداء في فارة من جلد، فاخذتها منه ثم وضعتها عند انفي، ثم رددتها قائلا : اريد اجود من هذا ؛ وانا اقول : هيهات ان يكون هذا هو المسك ! فتركته. ثم استعنت على طلبه مرة اخرى بدليل، فارجعني الى

المحل نفسه . قلت : ولا شك انه لو كان لي نصيب من معرفة المسك لما تركته عند التحصيل عليه ، وهذا مثال المشتغل بفن الفلسفة ، قد يدبر عن الحق في حال الاقبال عليه ، الا اذا كان له نصيب من عقيدة الخصوص ، فلا يزداد بذلك الا يقينا ، لان ما وصل اليه من عدم الادراك ، هو ما ينبغي الاعتماد عليه وتلك عقيدة الاسلام ، لقول الصديق : (العجز عن درك الادراك إدراك). ولقول النبي ﷺ : **« ان الله احتجب عن العقول ، كما احتجب عن الابصار ، وان اهل الملا الاعلى يطلبونه كما تطلبونه انتم »** (الحديث).

الفصل التاسع عشر من المقدمة

وعلى ما نتفرسه في احساسات العصريين القائلين الان بالنفي ، لو تصفحنا عقائدهم مع استنطاق وحسن المحاورة ، وامعنا النظر ، فلا نجد نفيهم واقعا على الاله الحق في الغالب على ما تقتضيه سجاياهم من حسن الدراية ، إنما نجده واقعا على ما تقرر في غالب الاذهان من ان اله العالم ، انما هو عبارة عن شبه انسان من جهة الكيفية والكم ، مقره في السماء ، على نحو كرسي مثلا ، صالح ان يلمس باليد على التقدير ، فضلا عن احاطة البصر به ، وعليه فالإله الذي هو بهذه الصفة (فعنقاء مغرب) ليست اولى بالنفي منه ، وعلى هذا الاعتبار يكون نفيهم عائدا على الوصف المقرر في الاذهان ، لا على الاله الحق الذي هو عبارة عن الغيب الصرف ، وفي ظني لو قيل لأحدهم ان الاله هو عبارة عن قوة غيبية يتحسس العقل وجودها ، في العالم من مكان بعيد ، لا زالت متعذرة الادراك عن البصائر ، فضلا عن الابصار ، في الغالب لا يتعجل النفي حسبما تعجله من قبل ، حيث يستشعر ذلك من نفسه من

طريق الشك او الظن الغالب «قرآن» (**ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين**) ولكن لا يستبعد تحصيل اليقين، بعد تحقيق الظن، لوجود الارتباط بينهما ! فليتأمل .

الفصل الموفى للعشرين من المقدمة

وقد كنت اجتمعت مع احد نجباء الفلاسفة العصريين ، وكان يقول بالطبيعة المحظة . فقلت له بعد كلام : ولعلكم بلغتم الغاية في فنكم هذا باكمل تحرير في تحقيق النفي ؟ فقال لي : وهو كذلك . فقلت له : ومع ذلك لم تزل عندكم بقية شك في اثبات سلطة زائدة على ما وصلتم اليه ، او نقول قوة اعز من ان يحاط بها على ما هي عليه حافظة للعالم ، من نحو الاختلال والتلاشي . فقال : لا يخلو من بقية شك في شيء متعذر الادراك . فقلت له : واذن من المحتمل ان يكون غيركم على يقين في إثبات ما شككتم انتم فيه ، لان الادراك متفاوت ، والانسان للعجز اقرب منه الى الاحاطة . قال : وهو كذلك . فقلت : وعليه فهذه القوة البعيدة المنال التي يحاول الاحاطة بها ، كل من الشك والوهم ، والظن واليقين ، وهي بالجميع احوط (**وكان الله بكل شيء محيطا**) فاي اسم تستحقه حتى يطابق مسماها ؟ فقال لا ادري . فقلت : تلك هي المسماة بالالوهية . فقال لي : إنا لا نتخيلها فضلا عن ان نسميها . فقلت له عدم تخيلك لها هي زبدة الاعتقاد ، فاثبت فيما انت عليه ، حتى ياتيك اليقين . لان الاله عندنا هو عبارة عن سلطة غيبية مجهولة الكنهية ، تدق عن الادراك «قرآن» (**لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير**) ليس كمثله شيء . فقال : ان كان الاله هو عبارة عما ذكرتم ، فانا مؤمن . فقلت الحمد لله (**انما المؤمنون إخوة**) .

الفصل الحادي والعشرون من المقدمة

والملخص من جميع ما قدمناه، ان الفلسفة ضل سعيها في العلم الالهي الذي هو احد فنونها، كما تحققت اصابتها فيما عداه من الاقسام، والسبب في ذلك استخدام العقل فيما وراء طوره، واسترساله فيما لا يدريه، بدون دليل يستند عليه، ولا برهان يعول عليه، فمن اللازم ان ينقلب خاسئا وهو حسير، ولا غرابة ان رجع القهقرة فيما فوق وسعه، حيث انه قد يخطيء فيما تعود الولوج فيه، ولولا خطأه لما اختلفت العقلاء.

وبالجملة، ان سائر ادراكات الانسان يتطرقها الخطأ، الا ترى ان الله تعالى جعل الحواس الخمسة حاكمة على المحسوسات، فالشم حاكم على المشمومات، والذوق حاكم على المذوقات، والبصر حاكم على المبصورات، والسمع حاكم على المسموعات، واللمس حاكم على الملموسات، ولما كان الخطأ قد يطرق كل حاسة على حدتها، جعل الله العقل حاكما عليها فيما حكمت هي عليه، كيلا تعتد بالخطإ في محل الصواب، اوليس ان البصر قد يرى البحر متصلا بالسماء، ومثله الجبال الشواهق من بعيد، واين هو من رؤية السماء، فضلا عن اتصال الجبال بها، ومثله الذوق، قد يحكم على مرارة العسل مثلا عند انحراف مزاج صاحبه، وهكذا بقية الحواس، وما يشاكلها من الادراكات الباطنية، ومثل تلك الاحكام لا تسمن ولا تغني من جوع، لعلمه بامكان تطرق الخطإ للحواس، ولما كان هو كذلك لا يعدم حظه من الخطإ احيانا، جعل الحق تعالى الشرع حاكما عليه، فلا بد ان يرجع اليه في المهمات، وعليه فمن جال في العلم الالهي الذي هو من اقسام الفلسفة، وكان دليله الفهم الخارق، اجاد وافاد، ومن لا فلا «قرآن» **(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)**.

الفصل الثاني والعشرون من المقدمة

وهل العقل توصل الى ما توصل اليه من الاستخدام في المحسوسات، والتصرف فيها بدون آلة يعتمدها ؟ كلا ! فقد يفتقر الى السمع مثلا ليستمد منه معرفة الاصوات، ومقطعات الحروف، ليميز بين صوت الانسان، وصياح البهائم، ونغمة الطيور، وخرير الماء، وهبوب الرياح، وما اشبهه. وهكذا البصر في الالوان، وقس على ذلك. وليس في قوة العقل ان يتوصل الى شيء مما ذكرناه من حيث ذاته الا بواسطة آلة يعتمدها «قرآن» (**ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه**) اي لا يتعداه. واذا تحقق منه انه لا يصل الى شيء من الاشياء التي هو من جنسها، من حيث الحدوث الا بآلته الموضوعة من اجله، فلزمه حينئذ ان لا يقدم على شيء الا بآلته، وعليه فاي آلة وجدها الانسان في نفسه يتوصل بها الى كنه ربه، فيدركه على ما هو عليه؟ كلا ! «قرآن» (**ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء**) واني لا انسى عثرات العقل في هذه النازلة، كما اني لا انكر مزاياه في اغلب النوازل.

الفصل الثالث والعشرون من المقدمة

واذا تحقق ان العقل لا يتصرف في اي شيء من الاشياء الا بواسطة آلة يعتمد عليها، إما بدنية كالحواس الخمس، واما نفسية كالخيال والفكر ونحوها، وقد اتضح ان الحواس لا تعلق لها بالالهيات، ومثلها الفكر والخيال، لان الفكر لا يجول على نعت الاصابة، الا فيما مر عليه، والخيال لا

يتخيل الا ما ارتسم فيه، واين هما من شيء لا مساس لهما به البتة، وعليه فلم يبق حينئذ الا الاعتماد على الدليل من الخارج، كأحد الكتب الالهية، والا يخشى عليه، لان المحل مضنة السقوط والانعطاب غالبا، والكتاب دليل على النجاة «قرآن» (**ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم**).

الفصل الرابع والعشرون من المقدمة

وقد يخرج مما حاولناه من اول الفصل الى هنا، لا بد للانسان من دين يعامل به ربه، والمراد بالدين، هو عبارة عن وضع إلهي يتضمن سعادة الدارين، يكلف الله الانسان بانتهاجه انتهاجا مختارا، ومركزه الاهم التوحيد، ثم الانقياد لله فيما امر ونهى واراد، وبهذا الاعتبار ان جوهرة الدين لا تتغير في كل الاعصار، انما المتغير والمنقلب احكامه حسبما تقتضيه الازمنة، وتتوقف عليه مصالح العباد. أما كنهيته لا تحتمل التغيير بحال، فالدين واحد لا غير. قال تعالى: (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) مع ان هذه الرسل مختلفة الشرائع. قال تعلى: (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**) وعليه فالملخص من هذا، ان الدين واحد مختلف الاحكام، مراعاة منه سبحانه وتعالى لمصالح المجتمع البشري، وما يوافق ضرورياته في كل عصر وزمان.

الفصل الخامس والعشرون من المقدمة

ومما اتضح لدينا، ان الدين واحد تختلف احكامه طبق الازمنة، مراعاة منه تعالى لمصالح العباد، وان الشرائع الالهية على السواء، فلا تتجمد على احكام التوراة، مع وجود الانجيل، مثلا، ولا على احكام الانجيل مع وجود القرآن، مهما علمنا ان الكل من عند الله، نتسارع لأيهم اوفى بالعصر، وبهذا يتحقق الإنصاف **(ويكون الدين كله لله)** والا فالتهمة لا تنفك، والبراءة لا تحصل لأهل التوراة في اهمالهم الانجيل، ولا لأهل الانجيل في اهمالهم القرآن، ولا لأهل القرآن في عدم دعوة الامم اليه، وتطبيق احكامه على ما يوافق الحال الحاضر، لانه هو الكتاب الصالح لبقية الدهر، والكل يجهل مقاصده الآن، والحالة انه ينادي هل من مبلغ ؟ قال تعالى : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)**. انتهى ما سطرته تلك اليد الكريمة، وجادت به تلك القريحة الوقادة، وأظن انه لا مشاحة ان كل من ينظر الى هذه الفصول المحكمة التنسيق، المتدفقة بمناهل التحقيق، يعترف ولا ريب، والاعتراف من شيم الكرام، إن الاستاذ « العلاوي » رضوان الله عليه لم يكن بالرجل الثاني، ولا ممن يشق له غبار في ميدان العمل، والاخلاص في الدعاية الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وان امثال هذه الكلمات لجديرة بان تعرب عن مقامه السامي، ومراميه العالية، فأكرم بها من مكانة، واكرم بها من همة تحاكي الثريا في علوها، والشمس في خصالها. نعم فلمثل ذلك فليعمل العاملون، وفيه فليتنافس المتنافسون.